ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:

Zainab Raad Ahmed Jassim
Jamil Badawi Hamad Al-Zuhairi
University: Wasit University
College: College of Education for Human Sciences
Email:
muntadher.alsaadi@yahoo.com

Keywords:
Linguistic methods, persuasion, intimidation, Umayyad era.

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received	24 May 2023
Accepted	20 Sep 2023
Available online	1 Oct 2023

The Use of Linguistic Methods in Persuasion and Intimidation

A B S T R U C T

The central focus of our research is the utilization of linguistic techniques for persuasion and intimidation within the speeches of the Umayyad era. This dominance is primarily attributed to the significant presence of persuasion and intimidation topics, which are deeply rooted in the foundations of rhetorical language. The contextual framework occupies a significant position in achieving linguistic work, as its underlying idea is based on the nature of the relationship between the speaker and the listener.

© 202 3LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/

توظيف الأساليب اللُّغويّة في الترغيب والترهيب في خطب العصر الاموي

زينب رعد احمد جاسم/ كلية التربية للعلوم الانسانية/ قسم اللغة العربية/ أدب
أ.د .جميل بدوي حمد الزهيري/ كلية التربية للعلوم الانسانية/ قسم اللغة العربية/ أدب

الخلاصة:

خلاصة الموضوع الذي تناولنا فيه توظيف الأساليب اللغوية في الترغيب والترهيب في خطب العصر الأموي كان بسبب هيمنتها بشكل كبير وخاصة على موضوعات الترغيب والترهيب التي أساسها قوام اللغة الخطابية، ويحتل السياق المقامي الدرجة الأولى في إنجاز العمل اللغوي وفكرته الأساسية مبنية على نوع العلاقة بين الخطيب والمستمع.

الكلمات المفتاحية: الأساليب اللغوية، الترغيب، الترهيب، العصر الأموي.

المقدمة:

إنَّ الحديث عن أساليب التّرغيب والتّرهيب في خطب العصر الأمويّ يستدعي تناولها بحسب فعاليتها الخطابية التي جعلت أنماطاً منها مهيمنة بشكل لا يحتاج إلى إحصاء في موضوعات الترغيب والترهيب التي أساس قوامها اللُّغة الخطابيّة.

وإنَّما يذكر المشرع الإقناع؛ لأنّ الطّرف الآخر (الجمهور) فيه ميل عن صراط الخاطب، أو شكّ في دعوى الخطيب، ممّا يقرّب الطّرفين من نقطة الخصومة، وحلبة المجادلة, وهذا يعني أنَّ الحقيقة سيكون لها وجه واحد، وطريقة واحدة للوصول إليها، فيجهد الخطيب نفسه في ممارسة القول اللُّغويّ، وبناء المعرفة في مجال القيم، تكون فيها اللُّغة وسيلة وغاية في هندسة التّصوّرات الفكريّة والحكم عليها.

ويحتلّ السّياق المقامي الدّرجة الأولى في إنجاز العمل اللُّغويّ؛ إذ إنّ فكرة المقام في البلاغة العربيّة تمثّل "عنوان العلاقة بين الخطيب والمستمع؛ فالبلاغيّون العرب وإنْ لم يهتمّوا كثيراً بالدّراسة النّفسيّة والأخلاقيّة للمرسل والمتلقّي، حاولوا أنْ يدرجوا تحت عنوان المقام والحال ملاحظات كثيرة فيما ينبغي للخطيب أنْ يكون عليه أو يراعيه من أحوال المستمعين"

ويرى السّكّاكيّ بأنّ "مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التّشكّر يباين مقام الشّكاية، ومقام التّهنئة يباين مقام التّعزية، ومقام المدح يباين مقام الذّم، ومقام التّرغيب يباين مقام التّرهيب، ومقام الجدّ في جميع ذلك يباين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام ابتداءً يغاير مقام الكلام بناءً على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السّؤال يغاير مقام البناء على الإنكار؛ جميع ذلك معلوم لكلّ لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذّكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكلّ من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر، ثمّ إذا شرعت في الكلام، فلكلّ كلمة مع صاحبتها مقام، ولكلّ حدّ ينتهي إليه الكلام مقام، وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول، وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به، وهو الذي نسمّيه مقتضى الحال"

فالمقامات عند السّكاكي أنواع مختلفة، منها يتّصل بالمرسل ومنها ما يتّصل بالمتلقّي، وقد تكون بناء على المقامات السّياقيّة بحسب حال الكلمة مع الأخرى. "والخطابة فن نثري شفاهي يقوم على مرتكزين: الأوّل هو الإمتاع؛ لأنّنا نعدّها فنّاً نثريّاً قوامه الجمال اللغوي، والثّاني هو الإقناع، لأنّ غايتها الوصول بالمستمع أو المخاطب بشكلٍ عام إلى مرحلة الإذعان والاعتقاد بما يقوله الخطيب، اعتماداً على القول الذي ينبغي أن يكون حاملاً للمقولات الحجاجيّة المقنعة لدعوى الخطيب"

وقد ازدهرت الخطابة في العصر الأموي، وهناك أسباب عديدة أسهمت في ازدهارها ورقيّها، ومن بين هذه الأسباب نذكر، الظّروف الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة، ولاسيما الصّراع القائم بين الأحزاب السّياسيّة، منها حزب بني أميّة، وهو الحزب الحاكم، وأحزاب المعارضة للحكم الأموي أبرزها: الخوارج، والشّيعة، والزّبيريّون, ولكلّ حزبٍ خطباء متمرّسون يدافعون عن مصالح الحزب وحقّه في الخلافة، وقد تصدّى كلّ حزب من هذه الأحزاب للدّفاع عن مبادئه وعقائده, ونظريته بالحكم ودحض حجج خصومه، والقضاء عليهم بما وسعه من وسائل في وسط هذا الصّراع المستعر تلك الخصومات والمنازعات العنيفة, فكانت لهذه الأسباب دور كبير في الخطابة وازدهارها، ومن هذه الأساليب التي كانت لها هيمنه واضحة بالترغيب والترهيب في العصر الأمويّ, هي:

1 - أسلوب الامر:

الأمر من الأساليب اللُّغويّة الإنشائيّة, وذلك حين يخرج عن معناه الحقيقيّ الذي هو "طلب الفعل على وجه الاستعلاء"**(الجارم، د.ت: 179)**, إلى معانٍ بلاغيّة أخرى يقتضيها السياق، فيسمّى طلب الأمر آنذاك بالمجازي، ويعدّ أسلوب الأمر في الخطب أسلوباً توجيهياً قائماً على مطلب الإذعان إلى تحقيق مضمون الرسالة؛ لأنّه وضع بصيغته المعهودة في النّصّ استعلاءً؛ إذ يتبادر إلى الذهن عند سماع الطلب بصيغة الأمر إلى فعل ذلك والتوقف عمّا سواه من خلال القرينة**(القزويني، 1993: ١٤٣).**

يعد أسلوب الأمر من الأساليب الإنشائية الطلبية التي اهتم بها النحويون والبلاغيون، وقد عرفه ابن فارس قائلاً: " الأمر عند العرب ما إذا لم يفعله المأمور سُمّي المأمور به عاصياً ويكون بلفظ افْعَلْ وَلْيَفْعَل"**(داود، د.ت: 73)**, ومدار دلالة الأمر على الطلب، وما يحدّد طبيعة الطلب ودرجته ليس هو الصيغة المحدّدة، بل ملابسات الخطاب؛ كالعلاقة بين المخاطِب، والمخاطَب بحكم مكانة الخطيب الآمر لها, والغرض الذي يجري من أجله الأمر والتمثيل على هذه الآلية اللُّغويّة هو الترغيب والترهيب في الخطب الأمويّة؛ لكثرة استعمالها فيها ويخرج أسلوب الأمر إلى أغراض مجازية كثيرة تُعرف من خلال السياق، وقد أشار إليها الخطيب القزويني قائلاً: "قد تستعمل - صيغة الأمر - في غير طالب الفعل بحسب مناسبة المقام كالإباحة، والتهديد، والتعجيز، والتسخير، والإهانة، والتمني، والدعاء، والالتماس، والاحتقار**(داود، د.ت:٧٣)**.

ومـن ذلـك خطبـة الإمـام الحسـين (υ) غـداة اليـوم الـذي استشـهد فيـه فـنلحظ كيـف اسـتعمل أسـاليب الأمـر فـي خطبتـه فقـال:**"يـا عبـاد الله: اتّقـوا الله، وكونـوا مـن الـدنيا علـى حـذر، فـإنّ الـدنيا لـو بقيـت علـى أحـد، أو بقـي عليهـا أحـد، لكانـت الأنبيـاء أحـقّ بالبقـاء، وأولـى بالرضـاء، وأرضـى بالقضـاء، غيـر أنّ الله تعـالى خلـق الـدنيا للفنـاء، فجديـدها بـال، ونعيمهـا مضـمحل، وسـرورها مكفهـر، والمنـزل تَلْعَـة، والـدار فلقـة، فتـزودوا ، فـإن خيـر الـزاد التقـوى، واتقـوا الله لعلكـم تفلحون"(صـفوت، د.ت: 41).**

وتتحـدّد حجـة الأوامـر الطلبيـة بطبيعـة العلاقـة بـين المرسـل والمتلقّـي، فكلّمـا كانـت العلاقـة قويـة متينـة كانـت قـوّة حجـة الأفعـال قويـة، وأكثـر تـأمّلاً فـي المتلقـي، ومـا دام المرسـل هـو ولـي الأمـر: (الإمـام الحسـين(υ)- عبـد الله بـن مطيـع- عبـد الملـك بـن مـروان)، فعلـى المتلقّـي السـمع والطاعـة بمـا تفرضـه تلـك المطالـب (الرسـالة)، مـن: مصـداقية، وحسـن نوايـا، ومكانـة رفيعـة يحظـى بهـا المرسِـل فـي الخطب السابقة، ومن: تأثير, وقبول, وقناعة فالتزام بها يُستدرج إليها المتلقي.

نلحـظ كيـف اسـتعمل الخطيـب أسـلوب الأمـر فـي الأفعـال: (اتّقـوا, وكونـوا, وتـزودوا) فكلّهـا أوامـر أصـدرها المـتكلّم بموجـب أنّـه مَـنْ يرجـع إليـه الأمـر، والمخاطـب بهـذه الأفعـال لابُـدّ مـن أنْ يخضـع لقـول المـتكلّم/ الخطيـب، فأفعـال الأمـر: (اتقـوا - كونـوا- تـزودوا) تعمـل عملهـا فـي المتلقـي؛ لأنّ هـذه الأفعـال حجّـة تخـدم نتيجـة ضـمنيّة، مـن قبيـل أنَّ مـا يقولـه الخطيـب هـو الأصـح؛ لأنّـه يـأمر بـأوامر مصـدره قولـه تعـالى: ﴿تَـزَوَّدُوا فَـإِنَّ خَيْـرَ الـزَّادِ التَّقْـوَىٰ﴾ (سـورة البقـرة/ 197), وهـذا مايجعـل أسـلوب الأمـر ينهض بفعالية الترغيبيّة أو الترهيبية في نفس المخاطب

وأيضـاً هنـاك خطبـة لعبـد الله بـن مطيـع وهـو تـابعي ومـن رواة الحـديث النبـوي الشـريف. فقـال فـي أحـد خطبـه المشـهورة : **"إن مـن أعجـب العجـب عجـزكم عـن عصـبة مـنكم قليـل عـددها خبيـث دينهـا ضـالة مضـلة اخرجـوا إلـيهم فـامنعوا مـنهم حـريمكم وقـاتلوهم عـن مصـركم وامنعـوا مـنهم فيـئكم والا والله ليشاركنكم في فيئكم من لاحق له فيه"(صفوت، د.ت: 57).**

فنـرى أنّ أفعـال الأمـر: (اخرجـوا، وامنعـوا المكـرّرة، وقـاتلوهم) جـاءت فـي هـذه الخطبـة حاملـة للدلالـة الضـمنية المتمثّلـة بالاسـتنفار للقتـال، فالخطيـب يسـتنفرهم للقتـال، ويحـذّرهم مـن التقـاعس عـن ذلـك؛ لأنّهـم إنْ لـم يتبعـوا أوامـره فسـوف يشـاركهم فـي فيـئهم مـن لاحـق لـه فيـه، فـالأمر هنـا يـؤدي دلالـة فعالة في الجمهور هي التحذير القائم على الترهيب.

ومن خطبة لسليمان بن عبد الملك التي نلحظ فيها الكثير من أساليب الأمر فقال : **"الحمد لله ألا إنَّ الدنيا دار غرور، ومنزل باطل، تضحك باكياً، وتبكي ضاحكاً، وتخيف آمناً، وتؤمن خائفاً، وتفقر مثرياً، وتثري مقتراً، ميالة غرارة، لعابة بأهلها، عباد الله، فاتخذوا كتاب الله إماماً، وارتضوا به حكماً، واجعلوه لكم قائداً، فإنّه ناسخ لما قبله، ولم ينسخه كتاب بعده، واعلموا عباد الله أنّ هذا القرآن يجلو كيد الشيطان، كما يجلو ضوء الصبح إذا تنفس، ظلام اللّيل إذا عسعس"(صفوت، د.ت: 188-189).**

وفي هذه الخطبة جاءت أفعال الأمر: (اتّخذوا، ارتضوا، اجعلوا، اعلموا) وحملت هذه الأفعال الدلالة المتضمنه المتمثّلة بالتمسك بكتاب الله القرآن الكريم، والعمل بتعاليمه والترغيب بأوامره ونواهيه, واستمدّ هذا الاقتباس من قول الله (Y): ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾. (سورة التكوير/17-18)

وقد جاءت الأفعال في الخطب الثلاث على الأسلوب الإنشائيّ الطلبي بصيغة الأمر، وغرضه النّصح والإرشاد مهما كان نوعه ترغيب أو ترهيب، فقد جاءت الأفعال على وجه الحقيقة، بتحكمات السياق التي يُدِلّ عليهابعدد من المؤشّرات والتوجيه، أمّا المخاطب فهو المتلقّي الذي يتوجّه إليه,. ويستقبله بحسب مضمونه ترغيباً أو ترهيباً.

وكذلك نجد ذلك في خطاب معاوية مستعملاً أسلوب الأمر لترهيب الرعيّة, فقال في خطبته إلى احد الشخصيات التي امتنعت عن مبايعة يزيد , إذ يقول: **"أمّا بعد: فقد بلغني إبطاؤك عن البيعة ليزيد ابن أمير المؤمنين، وإنّي لو قتلتك بعثمان لكان ذلك إليَّ، لأنّك ممّن ألب عليه وأجلب، وما معك منّي أمان فتطمئن به ولا عهد فتسكُنَ إليه، فإذا أتاك كتابي هذا فاخرج إلى المسجد والعن قتلة عثمان، وبايع عاملي، فقد أعذر من أنذر، وأنت بنفسك أبصر، والسلام"(صفوت، د.ت: 55).**

لقد بني هذا الخطاب السّياسيّ على أسلوب تعنيفي بالغ الأثر في مجموعة من الأفعال الأمريّة ذات انفعالات عديدة, قد ولدت علاقات جديدة، (فأخرج إلى المسجد، والعن قتلة عثمان، وبايع عاملي) غايتها الرئيسة تكمن في تخصيص الطاعة والانصياع للسلطة القمعية والطاعة لها إجباراً وكراهية؛ لأنّ دلالة هذه الأفعال تركز على حاكم يمارس عنفاً لغويّاً؛ ليزعزع قدرة الآخر في مواجهته، وليظهر نواياه السلطويّة بالأفعال التوجيهيّة التي تفرض دوافع الحاكم، ومقاصده السياسيّة في العنف والترهيب, فيقوم على أفعالٍ توجيهيّة تظهر غايتها الأساس في سعي السلطة إلى إخضاع الآخر لسياستها، ولهذا تضفي على الخطاب لوناً من العنف والإرهاب, وبذلك تظهر

دلالات تضمّنها الخطاب السّياسيّ الدّالّ على الترهيب والتهديد الممثّل لصورة السلطة بدلالات انفعاليّة, وذلك بقول السّلطويّ معاوية راسماً صورة التهديد والتعنيف في خطابه السّياسيّ؛ لعدم مبايعة ابنه يزيد بقوله: **"فقد بلغني إبطاؤك عن البيعة ليزيد ابن أمير المؤمنين، وإني لو قتلتك بعثمان لكان ذلك إليَّ، لأنّك ممن ألَّبَ عليه وأجلب وما معك مني أمان فتطمئن به ولا عهد فتسكن إلي"**.

فقد فرضت هذه الأساليب اللُّغويّة الكثيفة سيطرتها على الخطاب السّياسيّ؛ لغاية قصدية تكمن في تعنيف المخاطب ابن عبّاس، وتخويفه من العواقب والتحذير منها، بقوله: **"فقد أعذر من أنذر، وأنت بنفسك أبصر، والسلام"**, أيْ: يهدّده ويحذّره من عاقبة المعارضة والوقوف ضدّ سلطته وحكمه, إذ تنطق أفعال الأمر هذه بقوّة السلطوي وممارسته العدوانيّة التي تسهم بصورة رئيسة في التحكّم في الناس وترهيبهم

وما يمثّل ذلك أيضاً خطاب عبد الملك بن مروان بعد إيراد الخبر الآتي: "كتب هشام بن إسماعيل والي المدينة إلى عبد الملك بن مروان إنَّ أهل المدينة قد أطبقوا على البيعة الوليد وسليمان إلّا سعيد بن المسيب، فكتب إليه **"أنْ أعرِضْه على السيف فإن مضَى فاجلده خمسين جلدة، وطف به أسواق المدينة"(صفوت، د.ت: 236).**

لقد تأسّس هذا الخطاب السّياسيّ على مجموعة من الأفعال الأمريّة على وفق دلالات عديدة تودّي إلى ترهيب الناس, وكانت هذه الأفعال تدلّ على التسلّط والعنف, وذلك في نحو: (عرضه على السّيفِ فإنْ مضى فاجلده خمسين جلدة، وطف به أسواق المدينة)؛ فهنا نلحظ وظيفة هذه الأفعال الأمرية التي تسلب ذات المخاطب داخل سياق الخطبة, وذلك بتحوليهم إلى ذات خاضعه لسياسةِ البطشِ والعنفِ.

وكذلك نجد خطبةً لعبد الله بن حنظلة الأنصاري بالمدينة لمّا كره أهل المدينة خلافة يزيد بن معاوية وبايعوه, فقال لهم في خطبته: **"أيُّها الناس إنَّما خرجتم غضباً لدينكم, فأبلوا إلى اللهِ بلاءً حسناً, ليوجب لكم به الجنّة ومغفرته, ويحلّ بكم رضوانه, واستعدّوا بأحسن عدتكم, وتأهبوا بأكمل أهبتكم. فقد أخبرتُ بأنَّ القومَ نزلوا بذي خشبٍ ومعهم مروان بن الحكم, والله إنْ شاء الله مهلكه بنقضه العهد والميثاق عند منبر رسول الله (ρ)"(عطوان، د.ت: 88).**

فنلحظ في هذه الخطبة كيف استعمل الخطيب أسلوب الأمر لترغيب الناس بالقتال والوقوف ضد معاوية وجيشه, فنجد هناك كثيراً من أساليب الأمر في الخطبة منها: (أبلوا, وتأهبوا, واستعدوا),

ففي هذه الأفعال نلحظ الخطيب قد استعملها من أجلِ ترغيب الرعية بالقتال؛ فهو يحثّهم من خلال فعل الأمر ويطلب منهم أنْ يكونوا على استعداد دائمٍ من أجل الوقوف ضدّ جيش معاوية .

وهناك أيضاً خطبة لسعيد بن جبير في يوم دير الجماجم وهو يريد الترغيب بالقتال, فقال: **"قاتلوهم على جورهم في الحكم, وخروجهم من الدين وتجبرهم على عباد الله وامانتهم الصلاة, واستذلالهم المسلمين"(عطوان، د.ت: 29).**

استعمل سعيد بن جبير وهو أحد الشّخصيّات المهمّة في تلك الحقبة أسلوب الأمر في خطبته, وخرج فعل الأمر هنا (قاتلوهم) إلى مخرج آخر؛ فهو هنا يريد ترغيب الناس بالقتال في سبيل الله, ويطلب منهم ويأمرهم أنْ يقاتلوا الذين خرجوا عن دين الله والسنّة النّبويّة, فنرى أسلوب الأمر واضحاً في اللُّغة التي استعملها سعيد بن جبير .

2 - أسلوب النـــهي:

النهي من الأساليب اللُّغويّة الإنشائية، فهو: **"طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء"**, فاللُّغة: **"ليست وسيلة تواصل فحسب بل إنّها - أيضاً- أداة تأثير في النفوس ووسيلة إقناع"**، وقد ورد توظيف هذه الآلية في الخطب كثيراً؛ لقوّة حجّتها التأثيريّة في النّصّ, وأسلوب النهي عبارة عن قولٍ يُنبّئ عن المنع من الفعل على جهة الاستعلاء ...., وقد يرد على جهة التهديد**(العلوي، 1423هـ: 284) (الأوسي، د.ت: 465) (الأصبهاني، 1424ه:١١٦)** .

ويتفق أسلوب الأمر والنهي في أنّ كلَّ واحدٍ منهما لا بُدّ فيه من اعتبار الاستعلاء، وأنّهما يتعلّقان بالغير؛ فلا يُمكن أنْ يكون الإنسان آمراً لنفسه ، أو ناهياً لها، وأنّهما جميعاً لا بُدّ من اعتبار حال فاعلهما في كونه مريداً لهما... ويختلفان في أنّ الأمرَ دالٌّ على الطلبِ، والنهي دالٌّ على المنعَ، ويختلفان أيضاً في أنَّ الأمر لا بدّ فيه من إرادة مأموره، وأنَّ النهي لابُدّ فيه من كراهية منهية**(العلوي، 1914: 285-286).**

ويعدّ النهي من الأساليب الطلبيّة التي تناولها كثيرٌ من البلاغيّين, وقد أشار السّكّاكيّ إلى صيغته قائِلاً: "للنهي حرف واحد وهو لا الناهية الجازمة قبل الفعل المضارع في قولك: لا تفعل، والنهي محذو به حذو الأمر في أنَّ أصلَ استعمال (لا تفعل) أنْ يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور، فإنْ صادف ذلك أفاد الوجوب وإلّا أفاد طلب الترك فحسب"**(الترمذي، 2014: 66).**

فتفرض السلطة الحاكمة المستبدة لغة خطابها التّواصليّ الذي يناسبها على المخاطبين؛ لتركيز سيطرتها الإيديولوجية والسّياسيّة، فاللُّغة ليست دائماً لغة تواصلية إقناعيه واضحة، بل هي لغة تسلّط وإضمار وإخفاء, ويعني هذا أنّ الحاكم قد يوظّف اللُّغة التّرهيبيّة في سياقٍ خطابي محدّد،

لتمويه الحقائق، وتحقيق الغايات والمقاصد التسلطية في فرض هيمنته السّياسيّة، وحكمه التعسّفيّ بقوّة لغة الخطاب وعنفه، وبذلك تمنح اللُّغة قوّة السلطة والحكم السّياسيّ للفئة الحاكمة**(حمداوي، د.ت: 10)**.

ونرى كثيراً من نماذج الخطب في العصر الأمويّ نلمس فيها ترغيباً وترهيباً استعان فيها الخطيب بأسلوب النهي, ومن ذلك خطبة عبد الله بن يزيد: **"إنّ المسلم أخو المسلم، لا يخونه، ولا يغشه، وأنتم إخواننا وأهل بلدنا، وأحب أهل مصر خلقه الله إلينا، فلا تفجعونا بأنفسكم، ولا تستبدوا علينا برأيكم، ولا تنقصوا عددنا بخروجكم من جماعتنا، أقيموا معنا حتى نتيسر ونتهيأ، فإذا علمنا أن عدونا قد شارف بلدنا، خرجنا إليهم بجماعتنا فقاتلناهم"(صفوت، د.ت: 62)**.

ففي هذه الخطبة جاءت أفعال النهي: (لا تفجعونا، ولا تستبدوا، ولا تنقضوا), فالفعل الأوّل: (فلا تفجعونا بأنفسكم)، يحمل نتيجة ضمنية؛ وهي عدم خيانة المسلم لأخيه المسلم, والفعل الثاني: (لا تستبدوا علينا برأيكم)، يحمل نتيجة ضمنية؛ وهي عدم الاستبداد بالرأي، أمّا الفعل الثالث: (لا تنقصوا عددنا بخروجكم من جماعتنا) فيحمل نتيجة ضمنيّة هي عدم الخروج عن الجماعة, فكلّ الحجج التي جاءت في الخطبة السابقة، تحمل دلالة ضمنيّة مستمدة من حديث الرسول: "المسلم أخو المسلم؛ لا يخُونُه ولا يَكذِبُه ولا يخذُلُه، كلُّ المسلم على المسلم حرامٌ: عِرضُه وماله ودمه، التقوى هاهنا، بحسْبِ امرىء من الشرّ أن يَحقِرَ أخاه المسلم". رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

ومثال على ذلك أيضاً خطبة لمعاوية في يومٍ شديدِ الحر, فضمّن خطبته بأية قرآنية تحتوي على النهيّ, إذ قال: **"إنّ الله (τ) خلقكم فلم ينسكم، ووعظكم فلم يهملكم، فقال: يا أيّها الذين آمنوا اتقوا الله، ولا تموتن إلّا وأنتم مسلمون قوموا إلى صلاتكم)" (صفوت، د.ت: 174-175)**.

ففي هذه الخطبة جاء فعل النهي (لا تموتن) حاملاً اقتباس من القران الكريم:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾(آل عمران/ 102) ؛ والتي تعني النصيحة لهم بتقوى الله ومخافته، واتباع أوامره، واجتناب نواهيه، وشكر الله على نعمِهِ، والتمسّك بالدين حتى يأتي الموت وهم مسلمون.

وإذا تطرّقنا أيضاً إلى خطب عمر بن عبد العزيز فإنّنا نرى كثيراً من خطبه مشتملة على أساليب النهي, فقال في إحدى خطبه: **"أيّها النّاس، لا تستصغروا الذنوب، والتمسوا تمحيص ما سلف منها بالتوبة منها، إنّ الحسنات يذهبن السيئات، ذلك ذكرى للذاكرين**، وقال الله (Y): ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ (آل عمران/135)**(صفوت، د.ت: 196)**.

فهنا استعمل الخطيب فعل النهي (لا تستصغروا الذنوب) حاملاً دلالة ضمنيّة مستمدّة من حديث الرسول (ρ) عن ابن مسعود: **"يَا ابْنَ مَسْعُودٍ لَا تُحَقِّرَنَّ ذَنْباً وَ لَا تُصَغِّرَنَّهُ وَاجْتَنِبِ الْكَبَائِرَ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا نَظَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى ذُنُوبِهِ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ قَيْحاً وَدَماً" (الطبرسي، 1331هـ: 105).**

فالخطيب يرهبهم ويرعبهم من الاستهانه بصغائر الذنوب؛ لأنَّ هذه الصغائر تمحي الكثير من الحسنات, وهناك خطبة للنعمان بن بشير الأنصاريّ بالكوفة التي تحتوي على مضمون الترهيب والتحذير, إذ خطب فيهم قائِلاً: **"أمّا بعد فاتّقوا الله عباد الله, ولاتسارعوا إلى الفتنة والفرقة, فإنَّ فيهما يهلك الرجال وتسفك الدماء وتغصب الأموال, إنّي لم أقاتل مَنْ لم يقاتلني, ولا أثب على مَنْ لايثب عليّ"(عطوان، د.ت: 55).**

ففي هذه الخطبة نرى أنَّ النعمان قد استعمل أسلوب النهي وهو (لا تسارعوا إلى الفتنة), فهو في هذا الأسلوب ينهي الناس عن الإسراع إلى الفتنه والفرقة؛ لأنّها سلوك يحمل تبعات سيئة, فالفتنة نتيجتها القتال وسفك الدماء, وكذلك نراه قد استعمل الألفاظ والأفعال الدّالّة على الظلم والسيطرة فقال: (ولا أثب), أيْ: إنّي لا أتسلّط ولا أظلم إلّا مَنْ ظلمني وأراد إيذائي .

فكان أسلوب النهي فعّالاً في إيصال ترغيب أو ترهيب الخطباء إلى جمهورهم؛ لما فيه من زجر وإلزام.

وفي خطبة لزياد بن أبيه قد استعمل فيها أسلوب النهي بصورة واضحة وهو يريد ترغيب الناس بطاعة الله والامتثال لأوامرِهِ في بداية الخطبة, ولتحقيق ذلك عمد إلى تحويل أسلوبه في نهاية الخطبة إلى التحذير والترهيب فقال في خطبته **"أمّا بعدُ أيُّها النّاس: فاعتصموا بطاعةِ اللهِ وطاعةِ أئمتِكُم, ولاتختلفوا, ولاتفرقوا, فتهلكوا وتذلّوا وتقتلوا, وتجفوا وتحرموا, إنَّ أخاك مَنْ صدّقك, وقد أعذرَ مَنْ أنذر"(عطوان، د.ت: 88).**

ذكر الخطيب بعض الألفاظ الدّالّة على النهي, مثل: (لا تختلفوا, ولا تفرقوا), فهنا يريد منهم أنْ يعملوا بما أمرَ اللهُ به من أوامر, وشرائع دينيّة, ففي بداية خطبته كان يرغبهم بأنْ يجتمعوا ولايتفرّقوا؛ لأنَّ تشتت شملهم يؤدّي إلى فرقتهم, فإنَّ التعاون من الأشياء التي حثَّ اللهُ عليها دائماً, فلا يمكن لقومٍ أنْ يعيشوا بسلامٍ من دون تعاون وتكافؤ بينهم.

ونرى بعد ذلك لغة عبيد الله بن زياد قد تحوّلت إلى لغة تحذير, حينما قال: (وقد أعذرَ مَنْ أنذر).

ونجد النهي بكثرة في خطب الحسن البصريّ, فقال في إحدى خطبه: **"أيّها الناس الزموا رحالكم, وكفّوا أيديكم, واتّقوا الله مولاكم, ولا يقتل بعضكم بعضاً على دنيا زائلة, وطمع فيها يسير, ليس لأهلها بباقٍ, وليس الله عنهم فيما اكتسبوا براضٍ, إنَّه لم تكن فتنه إلّا كان أكثر أهلها**

الخطبـــاء والشـــعراء والســـفهاء وأهـــل التيـــه والخـــيلاء, ولـــيس يســـلم منهـــا إلّا المجهـــول الخفـــي والمعروف التقي"(عطوان، د.ت: 235).

ضـمّن الحسـن البصـري فـي خطبتـه أسـلوب النهـي بقولـه: (لا يقتـل بعضـكم بعضـاً), فهـو هنـا ينهـيهم عـن القتـال بيـنهم, فنـراه أنّـه يريـد ترهيبـاً دينيّـاً, أيْ: يرهّـب الرعيـة مـن الابتعـاد عـن أوامـر الله وعـن طمعهـم فـي الـدنيا, فيبـيّن لهـم أنَّ الـدنيا هـي دارٌ زائلـة, وعلـيهم أنْ لا ينغـروا بهـا؛ لأنَّهـا غيـر باقيـة, وأنْ يعملوا بما أمرَ الله به والابتعاد عمّا حرّم.

3 - أسلوب الاستفهام:

الاسـتفهام هـو: "طلـب الفهـم تصـوراً وتصـديقاً"**(الأنصـاري، د.ت: 19)** ، وقـد يخـرج الاسـتفهام عـن المعنـى الحقيقـي إلـى معـانٍ بلاغيّـة، قـد يقتضـيها السـياق الـذي يطـرح فيـه؛ كالإنكـار والتقريـر وغيرهمـا، فيسـمّى الاسـتفهام- فـي هـذه الحالـة- بالاسـتفهام المجـازي، فـ "لـيس شـيء يخـرج عـن بابِـهِ إلـى غيـره، إلّا لأمـرٍ، قـد كـان وهـو علـى بابـه ملاحظـاً لـه، وهـو علـى صـدد مـن الهجـوم عليـه، وذلـك أنّ المسـتفهم عـن الشـيء قـد يكـون عارفـاً بـه مـع اسـتفهامه فـي الظـاهر عنـه، لكـن غرضـه فـي الاسـتفهام عـن أشـياء"**(أبـن جنـي، د.ت: 266-267)** ؛ كالاسـتفهام الّـذي يعلـم جوابـه، ولكنّـه يقصـد معنـى آخـر يفهـم مـن السـياق، بعـد التأمـل فـي الـنّص، والفيصـل فـي ذلـك السـياق الـذي يـرد فيـه الاسـتفهام**(الأوسـي، 1988: 417)**. وقـد اهـتمَّ الخطبـاء فـي المعـاني المجازيـة للاسـتفهام؛ إذ يخـرج أسـلوب الاسـتفهام عـن معنـاه الحقيقـيّ إلـى معـانٍ مجازيـة عـدة) مـن طبيعـة الإنسـان لـم يُـرد التصـريح بـالمعنى الـذي يَقْصِـده، فإنَّـه يتَّخـذ للإشـعار بـه أسـلوباً غيـر مباشـر وقـد وظّـف الخطبـاء أسـلوب الاسـتفهام فـي خطـبهم؛ ليشـكّلوا بـذلك سـمة أرادوا مـن خلالهـا نقـل مـا يـدور فـي أعْمَـاقِهم، ومـا يخـتلج فـي نفوسـهم مـن معـانٍ، فاسـتعملوه من أجل الترغيب والترهيب**(داود، بلا: 70)**.

والاسـتفهام بهـذا المفهـوم وهـذا الانزيـاح الـدّلاليّ يعـدّ ركيـزة هامّـة مـن أهـمّ ركـائز الخطـاب الـذي يسـتند إليـه المرسـل، للتـأثير فـي المتلقّـي، بعـد أنْ يبـثّ فـي خطبتـه مـا يجـذب المتلقّـي، للتفكّـر والتـدبّر فـي مـدى صـحّة السـؤال الـذي يوجّهـه إليـه، فأسـلوب الاسـتفهام دليـل علـى برهنـة صـحّة النكـرة المقصودة وقوتها.

ويعـدّ الاسـتفهام مـن أكثـر أنـواع الأسـاليب اللّغويّـة الفعّالـة للتـأثير فـي المتلقّـي، وذلـك إنْ طـرح السّـؤال يمكـن أنْ يلطـف السـؤال مـا بـين الطـرفين مـن اخـتلاف، إذا كـان المخاطـب يميـل إلـى الإقـرار بجـوابٍ مـا غيـر جـواب المـتكلّم**(داود، بـلا: 67)**, ومـن هنـا تبـرز علاقـة غـرض الاسـتفهام بمقاصـد المتكلّم الخطابية التي من أهمّها تنبيه المتلقي.

ولكن الاستفهام بأدواته المحدّدة قد يخرج عن معناه الحقيقي إلى معان ودلالات أخرى؛ لأغراض مجازية تفهم من السّياق الخطابيّ وقرائن الأحوال وإيحاءات الخطاب وتأويلاته أهمها: (الإنكار التوبيخ، التهكم، التحقير، الوعيد، التهويل، الأمر، النهي، التعجب التنبيه الاستبطاء، التقرير الاستبعاد التعظيم) **(المراغي، د.ت: 68-70)** ، وفائدة استعمال ألفاظ الاستفهام في غير معانيها الحقيقية هي أنّها: "تعطى الكلام حيوية، وتزيد الإقناع والتأثير به، وذلك لما في هذا الاستعمال من إثارة للسامع، وجذب الانتباه، ومن إشراكه في التفكير، ليصل بنفسه إلى الجواب من دون أنْ يملى عليه"**(عرفه، د.ت: 102)**.

تناول أغلب النّحاة والبلاغيّن أسلوب الاستفهام؛ لما يطلبه من حصول صور الشّيء المستفهم عنه في الذهن، فيمنح النّصّ الذي يرد فيه قيمة جمالية تثير ذهن المتلقّي, وقد جعله ابن قتيبة أحد أقسام الكلام قائلاً: والكلام أربعة: أمر, وخبر, واستخبار, ورغبة", ووبعضهم سمّاه استخباراً كابن فارس إذ قال: "الاستخبار طلب خبر ما ليس عند المستخبر وهو بمعنى الاستفهام**(داود، د.ت: 70)**.

وقد يأتي الاستفهام للوعيد، وهو إذا كان في تنبيه المخاطب إساءة مقتضية للزجر بالوعيد, والعلاقة بين الاستفهام والوعيد تتمثّل في أنَّ "الاستفهام ينبّه المخاطب على جزاء إساءة الأدب، وهذا يستلزم وعيده لاتّصافه بإساءة الأدب, فهو مجاز مرسل من استعمال اسم الملزوم في اللازم, ولك أنْ تجعل الكلام من قبيل الكناية بأنْ تجعل اللّفظ مستعملاً في الاستفهام لينتقل منه إلى الوعيد والغرض تصوير المتكلّم وقد كتم غيظه وترجم عنه بلفت انتباه المخاطب إلى ما يقع حوله من تأديب غيره، فيفهم الوعيد والتخويف، فلا يجرأ على مخالفته"**(داود، د.ت: 70)**, بل أنَّ المتحدّث يستصغر من شأنِ المخاطب ويستنكره؛ لأنّ الاستفهام الإنكاري تارة يكون تحقيراً، وتارة يكون توبيخياً واستحقار المخاطب وإهانته وفائدته تكمن في: "أنَّ المتكلّم عندما يلقي كلامه بصيغة الاستفهام، فإنّ ذلك يدلّ على الثّقة التي تملأ نفسه؛ لأنّه يلقي كلامه وهو يدرك أنَّه لو كان في كلامه أدنى ريب؛ لرده عليه قائله جواباً على استفهامه"**(عباس، 1992: 199)**.

وما يمثّل ذلك قول معاوية في الخطاب السّياسيّ الآتي: **"ويحك يا بن الزُّبير! كيف تَصف نفسك بما وصفتَها والله مالَك في القديم من رِياسةٍ، ولا في الحَديثِ من سياسةٍ، ولقد قُدْناك وسُدْناك قديماً وحديثاً، لا تستطيع لذلك إنكاراً، ولا عنه فِراراً، وإنَّ هؤلاء الخصوم لَيَعلَمون أنَّ قريشاً قد اجتمعت يوم الفِجار على رياسةِ حَرْب بن أُمَيَّة وأنَّ أباك وأسرتك تحت رايته راضون بإمارته،**

غيـر منكـرين لفضـله، ولا طـامعين فـي عزلـه، إنْ أمَـرَ أطـاعوا، وإنْ قـالَ أنصـتوا فلـم تـزل فينـا القيادةُ، وعِزُّ الولاية..." (صفوت، د.ت: 162).

يقـع الاسـتفهام الاسـتنكاري فـي قولـه: (كيـف تصـف نفسـك بمـا وصـفتها) فـي صـورة اسـتفهامية لغويّـة تمهيديّـة بقولـه: (ويحـك يـا بـن الزُّبيـر!)؛ لتتـرجم هـذه الصّـورة اللُّغويّـة انفعـالات معاويـة وأفكـاره القمعيّـة التـي بمغزاهـا تتـوالى وتتصـاعد وتيـرة التسـاؤل الاسـتفهامي الاسـتنكاري؛ لتصـل إلـى ذروتهـا باستسـلام المخاطـب ورضـوخه لسياسـة معاويـة القمعيـة؛ لأنَّ هـذا التسـاؤل الاسـتفهامي مـن الآليـات اللُّغويّـة التّوجيهيّـة التـي يسـتعملها المرسـل (للسـيطرة علـى مجريـات الأحـداث، بـل وللسـيطرة علـى ذهـنِ المرسـل إليـه، وتسـيير الخطـاب تجـاه مـا يريـده المرسـل، إذ يبـدأ بالاسـتهلال التـوبيخي المتمثّـل بوظيفتـه الانفعاليّـة بقولـه: (ويحـك يـا بـن الزبيـر!), فهـذا القـول يمهّـد تمهيـداً منفـرداً؛ لمـا يـأتي بعـده مـن أسـلوب اسـتفهامي اسـتنكاري، وعليـه فـالقوّة التسـلطيّة فـي الخطـاب تـدلّ عليهـا الأسـاليب اللُّغويّـة المنبثقـة مـن السّـلطويّ وأفعالـه القمعيّـة المتّسـقة مـع بنيـة الخطـاب ولغتـه التعنيفيّـة، إذ تجسّـدت والدلالات بحركة التهديد والتقريع في صيغ استفهامية.

ونجـد كثيـراً مـن الشّخصـيات البـارزة فـي تلـك الحقبـة قـد اسـتعملت أسـلوب الاسـتفهام فـي خطبهـا لتخويـف ورعـب النـاس كمـا جـاء فـي خطبـة لعمـر بـن عبـد العزيـز فقـال فـي أحـدى خطبـه: **"... وإنّمـا يفـرح مَـنْ آمـن مـن أهـوال يـوم القيامـة، فأمّـا مـن لا يبـرأ مـن كَلْـم إلّا أصـابه جـارح مـن ناحيـة أخـرى، فكيـف يفـرح؟ أعـوذ بـالله أن آمـركم بمـا أنهـى بـه نفسـي فتخسـر صـفقتي، وتظهـر عـورتي، وتبـدو مَسْـكنتي، فـي يـوم يبـدو فيـه الغنـي والفقيـر، والمـوازين منصـوبة، والجـوارح ناطقـة، فلقـد عُنيـتُ بـأمرٍ لـو عُنيـت بـه النجـوم لانكـدرت، ولـو عنيـت بـه الجبـال لـذابت، أو الأرض لانفطـرت"(صـوت، د.ت: 196-197).**

اسـتعمل (كيـف) التـي هـي للاسـتفهام لغـرضٍ بلاغـيّ, وهـو التعجّـب, إذ أخـرج بهـا مـن السـؤال عـن الحـال إلـى التعجّـب, وممّـا تجـدر الإشـارة إليـه أنَّ التعجّـب لـيس هـو الهـدف وحـده، ولا الاسـتفهام وحـده، بـل يتضـمن معـانٍ ثانويـة، نتيجـة المـزج بينهمـا إذ لا يخلـو الاسـتفهام منـه؛ لأنَّ مَـنْ تعجّـب مـن شـيءٍ فهـو بلسـان الحـائر سـائل عـن سـببه, فهنـا نـرى فكـرة الترهيـب واضـحة فـي نـصِّ الخطبـة فهـو يريـد أنْ يرهبهم من يوم القيامة وأهوالها.

وهنـاك خطبـة لمحمّـد بـن الحنفيـة يـرد بهـا علـى عبـد الله بـن الزبيـر اسـتعمل فيهـا أسـلوب الاسـتفهام, فقـال فـي خطبتـه: **"أينـتقص علـي وأنـتم حضـور؟ إن عَلِيًّـا كـان سـهمًا صـادقًا، أحـد مرامـي الله علـى أعدائـه، يقـتلهم لكفـرهم، ويهـوعهم مـآكلهم، فثقـل علـيهم، فرمـوه بصـرفة الأباطيـل وإنـا معشـر لـه**

على نهج من أمره بنو الحسبة من الأنصار، فإن تكن لنا الأيام دولة ننثر عظامهم، ونحسر عن أجسادهم، والأبدان يومئذ بالية وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ"(صفوت، د.ت: 81-82).

جاء الاستفهام: (أينتقص علي) بالهمزة لغرض بلاغيّ هو التعجّب، فهنا خرج الاستفهام لغرض آخر, وجاء الاستفهام ليبيّن شيئاً غير واضح ألا وهو تعجّب محمد بن الحنفيّة من انتقاص عبد الله بن الزبير من عليّ (υ)، ومكانته، كما أنَّ الاستفهامَ يحمل افتراضاً ضمنياً هو بيان مكانة عليّاً (τ)، فالذي يسأل يعلم أنَّ عليّاً كان سهماً على أعداء الله الكافرين, إذ جاء الاستفهام بشكل يمهّد به لترهيب ابن الزبير الذي حاول النيل من الإمام عليّ (υ), وقد أكثر هذا الترهيب عندما نظر فيه إلى قولِهِ تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (سورة الشعراء/ 227).

وإنّ من الشخصيّات التي استعملت أسلوب الاستفهام بكثرة في خطبه هو الحجاج بن يوسف الثقفي عندما مرض فخطب خطبة قال فيها: **"إنَّ طائفة من أهل العراق، أهل الشقاق والنفاق نزغ الشيطان بينهم، فقالوا: مات الحجاج، ومات الحجاج فَمهْ؟ وهل يرجو الحجاج الخير إلا بعد الموت؟ والله ما يسرني ألا أموت، وأن لي الدنيا وما فيها ، وما رأيت الله رضي بالتخليد إلا لأهون خلقه عليه إبليس"(صفوت، د.ت: 286).**

فقد خرجت (هل) في هذا المقطع من معنى الاستفهام، إلى معنى التقرير، فخرج عن المعنى الحقيقيّ للأداة (هل)، وتضمّن إقراراً من المتكلّم، بأنّه لا يرجو الخير إلّا بالموت وأنّه لا يريد الخلود، وقد جاء باستفهامه حجّة تتمثّل في أنَّ التخليد لم يرضَ به الله (Y) إلّا لإبليس فأوضح الاستفهام بـ (هل) الرغبة بالموت وعدم الخلود الذي اختاره الله، وكأنَّ الاستفهام هنا أراد به إخباراً للمتلقّي, أيْ: إنَّهُ يريد أنْ يخبرَهُ بشيءٍ معيّن، فقد أعطى الاستفهام الخارج إلى معنى التقرير امكانية مشاركة المخاطب في الأمر، وكأنه يريد تصديقاً منهم لما قاله**(السامرائي، 1989: 618).**

وكذلك جاء في خطبة هشام بن عبد الملك إلى خالد بن عبد الله وهو يقوم بترهيب الرعيّة وتخويفهم فاستعمل أسلوب الاستفهام بقوله: **"يا ابن أم خالد، قد بلغني أنّك تقول: ما ولاية العراق لي بشرف، فيا ابن الأخناء[1] كيف لا تكون إمرة العراق لك شرفاً، وأنت من بجيلة القليلة الذليلة؟ أمّا والله إني لأظن أنَّ أوّل مَنْ يأتيك صغير من قريش يشد يديك إلى عنقك".(صفوت، د.ت:** 355)

([1]) اللخناء :الشيء الذي فسد وله رائحة كريهة.

اعتمد الخطيب على الأسلوب الاستفهامي الاستنكاريّ لما له من دورٍ فعّالٍ وتأثيرٍ كبيرٍ في إنتاج هذا الخطاب السّياسيّ الذي يدلّ على وجود سلطة مستبدة تقف خلفه وتمارس أفعالها التسلطية عبر لغة خطابية عنيفة متمثلة بصيغة استفهامية هادفة (كيف لا تكون إمرة العراق لك شرفاً، وأنت من بجيلة القليلة الذليلة (؟)، ليبين هشام بن عبد الملك بوساطة هذا الاستفهام الذي جاء بمعنى الاستنكار والتحقير من ذات خالد بن عبد الله والتقليل من شأنّه, إذ يمثّل هذا الأسلوب الاستفهاميّ التّوبيخيّ صورة عاكسة لهوية الخطاب وتوجهاته شكلاً ومضموناً، فقد استعمل لغة التهديد عن طريق خلق لغة عنف محدّدة بتركيب استفهامي استنكاري ذات أبعاد عديدة؛ ليرغم بذلك المخاطب على التفاعل مع مضامين هذا الخطاب، وتطلعاته الهادفة إلى التسلط والتحكم بمصير الفرد ووجوده, فهو كانت غايته من هذا الاستفهام هو تحقير المخاطب والنيل منه, وهو هنا يخاطب خالد بن عبد الله بصيغ استفهامية تهكمية فقال: (وأنت من بجيلة القليلة الذليلة؟), وكذلك (أما والله أنّي لا أظن أنَّ أوّل مَنْ يأتيك صغير من قريش يشدّ يديك إلى عنقك), فهنا يبين كيف تمارس السلطة العنف والقمع من خلال تعاملها مع الآخر, فأدّى الاستفهام فعالية في ترهيب الآخر وبحسب ما أراد له الخطباء.

أسلوب القسم:

يحتلّ أسلوب القسم مكانة عالية في اللُّغة العربيّة بشكل عام والنحو بشكل خاص؛ إذ يعرف أسلوب القسم في اللُّغة على أنّه وسيلة من وسائل توكيد الكلام، وإبراز معانيه، وتوضيح مقاصد المتكلّم، إذ يستعمل أسلوب القسم لإزالة الشك وإبعاد الإنكار، كما يعدّ القسم من أساليب التأكيد التي تقوي الشيء في النفس.

والقسم من أساليب التوكيد، وهو جملة فعلية أو اسمية تؤكّد بها جملة خبرية موجبة أو منفية، ويستعمل فيها ألفاظ اليمين، ويُعرّف القسم بأنّه جملة خبريّة يؤكّد بها جملة أخرى، والغاية من القسم توكيد ما يقسم به القائل من نفي أو إثبات، وهو: (يمين يقسم بها الحالف ليؤكّد بها شيئاً يُخبر عنه من إيجاب أو جحد، وهو جملة يؤكّد بها جملة أخرى، فالجملة المؤكَّدة هي المقسَمُ عليه، والجملة المؤكّدة هي القسم، والاسم الذي يدخل عليه حرف القسم هو المقسَمُ به) **(ابن سيده، 1971: 110)**.

ويعدّ القسم صنفاً من صنوف الفعل الكلاميّ الذي يتوجّه القول فيه توجيهاً يقينياً مثبتاً، يلجأ إليه المتكلّم لتوكيد كلامه، وإثباته مقيماً الحجة، على المخاطب في الوقت نفسه، ويشترط في القسم أنْ

يكـون باسـمٍ معظّـم, كمـا أنَّ القسـم يجـب أنْ يقـع ضـمن المنظومـة الثقافيـة التـي يـدور فـي فلكهـا المـتكلّم والمتلقّي المشكلة من عوالم إيمانية وعرفية مسلم بها(**السيوطي، 1975: 250**).

والغايـة مـن أسـلوب القسـم تحقيـق غـرض تواصـلي عـن طريـق إثبـات الحجّـة وتأكيـدها فـي نفـس المتلقّي، ليتحقّق التصديق والوثوق، بما يريده المتكلم(**جبار، د.ت: 153**).

وللقسـم قـوّة فعّالـة لا تقـف عنـد حـدود الطاقـة التعبيريّـة، وإنّمـا تنفـتح علـى آفـاق دلاليّـة واسـعة، لمحاولـة المـتكلّم إقنـاع الخصـم بصـدق خطابـه بـأعلى درجـات التأكيـد, فالقسـم يمثّـل طاقـة دلاليّـة يبـثّ مـن خلالهـا قدراتـه الإقناعيّـة؛ لأنّ للقسـم قـوّة تعمـل علـى تحقيـق قيمـة الكـلام وترسـيخها فـي ذهـن المتلقّـي سـواء أكانـت هـذه القيمـة متحقّقـة أم كانـت متصـورة كمـا تقـوم الملفوظـات المؤكّـدة بالقسـم، علـى صـورتين متعارضـتين، فيحـاول المـتكلّم أنْ يضـع المتلقّـي أمـام مفاضـلة فكريّـة قائمـة علـى التوكيـد بالقسم بما يملكه من مؤثّرات؛ ليحقق بذلك إقناع المتلقّي(**بن خراف، 2010: 251**).

ومـن نمـاذج أسـلوب القسـم مـا ورد فـي خطبـة لمعاويـة: **"فـإنْ لـم تجـدوني خيـركم، فـإنّي خيـر لكـم ولايـة، والله لا أحمـل السـيف علـى مـن لا سـيف لـه، وإن لـم يكـن مـنكم إلا مـا يستشـفى بـه القائـل بلسانه، فقد جعلت ذلك له دَبْرَ أذني، وتحت قدمي"(صفوت، د.ت: 172-173)**.

ورد القسـم فـي المقطـع (والله لا أحمـل السـيف علـى مَـنْ لا سـيف لـه) مـن الجملـة الخبريـة المنفيـة, وقـد أراد المـتكلّم مـن خلالـه شـدّ انتبـاه المتلقّـي وتسـليمه لمـا يريـد، فيشـترك النفـي مـع القسـم ويريـد بـه الخطيـب الاقنـاع، ولـذا يعمـلان علـى توجيـه القـول، وإلـزام الملتقـي بـه، ونلحـظ أنَّ قـوّة القسـم التوجيهيـة هنـا قـد تناسـبت وموضـوع الخطبـة، فقـد قـال معاويـة هـذه الخطبـة عنـدما قـدم إلـى المدينـة، موجهـاً كلامـه لأهلها في سياق تحذيري لهم يتجلى فيه الترهيب بوضوح عالٍ من انتشار الفتنة بينهم.

ومـا جـاء فـي خطبـة زيـاد بـن أبيـه نلحـظ فيهـا كيـف اسـتعمل أسـلوب القسـم لترهيـب النـاس وتخـويفهم فقـال فـي خطبتـه: **"استوصـوا بثلاثـة مـنكم خيـراً: الشـريف والعـالم والشـيخ، فـو الله لا يـأتيني شـيخ بشـاب، قـد اسـتخف بـه إلا أوجعتـه، ولا يـأتيني عـالم بجاهـل اسـتخف بـه، إلا نكلـت بـه، ولا يـأتيني شريف بوضيع، استخف به إلا انتقمت له منه"(صفوت، د.ت: 263)**.

فـي قولـه: "فـو الله لا يـأتيني شـيخ بشـاب، قـد اسـتخف بـه إلّا أوجعتـه" ورد القسـم مقترنـاً بـالنفي ليؤكّـد نفيـه عـن نفسـه الاسـتخفاف بكـلّ مـن الشـريف والشـيخ والعـالم، وقـدّم الأدلّـة علـى مـا قـال بأنّـه يوجـع الشـاب الـذي يسـتخف بالشـيخ، وينكـل بالجاهـل الـذي يسـتخف بالعـالم، وينـتقم مـن الوضـيع الـذي استخف من الشريف فالتحذير الوارد في السياق الخطابي قائم على اسلوب ترهيبي .

وجاء في خطبة مسلم بن عقبة[2] يؤنب أهل الشام فاستعمل أسلوب القسم بصورة واضحة لترهيب الرعية وتخويفهم فقال في خطبته: **"يا أهل الشام: أهدأ القتال، قتال قومٍ يريدون أن يدفعوا به عن دينهم؟ وأن يُعزوا به نصر إمامهم؟ قبَّح الله قتالكم منذ اليوم، ما أوجعه لقلبي، وأغيظه لنفسي! أما والله ما جزاؤكم عليه إلّا أن تُحرَموا العطاء، وأن تَجمَّروا في أقاصي الثغور"(صفوت، د.ت: 145)**.

ورد القسم المنفي في قوله: **"أما والله ما جزاؤكم عليه إلّا أنْ تُحرَموا العطاء، وأنْ تَجَمَّروا في أقاصي الثغور"**, وقد حمل القسم المنفي دلالة ضمنيّة، تتمثّل في تأنيب أهل الشام، ويهدّدهم بالحرمان من العطاء، وأنْ يجمروا في أقاصي الثغور, إذ غلب على سياق خطابه الترهيب التخويفي السلطوي المقيت.

وما يمثّل ذلك قول معاوية في الخطاب السلطوي الآتي: **"يا معشر الأنصار، بِمَ تطلبون ما قبلي؟ فو الله لقد كنتم قليلاً معي كثيراً مع عليّ، ولقد فَلَتُم حَدّى يوم صفين، حتى رأيت المنايا تَلَظَّى في أسِنَّتكم، وهجوتموني في أسلافي بأشد من وقع الأسنَّة، حتى إذا أقام الله منا ما حاولتم ميله قلتم ارغ فينا وصية رسول الله ﷺ ، هيهات يأبى الحقير الغدرة"(صفوت، د.ت: 125)**.

يستهلّ الحاكم معاوية خطابه السّياسيّ بأسلوبٍ ندائيّ (يا معشر الأنصار) مروراً بالاستفهام (بمَ تطلبون ما قبلي؟)، ثمّ جاء بالقسم الدالّ دلالة واضحة على التأنيب والوعيد, فو الله لقد كنتم قليلاً معي، كثيراً مع عليّ، ففي هذه الصيغ دلالات واضحة تشير إلى الموت الذي كان يترقّب السلطوي معاوية؛ فنلحظ كيف بيّن معاوية وقوفهم بجانب الإمام عليّ (υ) وتخلّيهم عنه, وبين إشهارهم السيوف والرماح بوجهه, فقسم معاوية بأنّه سوف ينزل بهم أشدّ العقوبات بقوله: (فو الله), إذ توسّل معاوية بالقسم لترهيب الأنصار وقمعهم وتخويفهم لموقفهم المناصر للإمام عليّ (υ).

وفي خطبة للمختار بن أبي عبيد استعمل فيها أسلوب القسم؛ لترهيبهم ووعيدهم, فقال: **"أما والذي أنزل القرآن, وبين الفرقان, وشرع الأديان, وكره العصيان لاقتلن البغاة من أزد عمان, ومذحج وهمدان, ونهد وخولان, وبكر وهزان, وثعل ونبهان, وعبس وذبيان, وقيس غيلان"(صفوت، د.ت: 67)**.

ففي هذه الخطبة استهلّ المختار خطبته بأسلوب القسم عندما قال: (أما والذي أنزل القرآن), فقسم بربِّ العباد الّذي أنزل القرآن, مكرّراً إيّاه خارجاً به إلى أسلوب الترهيب والوعيد, لأنّه يريد أنْ يرهّبَهُم ويهدّدَهم بالقتل والنيل منهم.

([2]) مسلم بن عقبة :هو قائد الجيش الذي ارسله يزيد الى موقعة الحرة .

فنرى كثيراً من الخطب التي جاءت في العصر الأموي تحتوي على أسلوب القسم سواء أكان القسم لغرض الترغيب أم لغرض الترهيب, ومنها خطبة لزياد بن أبيه إلى أهل الكوفة قال فيها: **"يا أهل الكوفة جممتم[3] فأشرتم[4] وآمنتم فاجترأتم. وإنّ عواقب البغي شر العواقب. والله يأهل الكوفة, لئن لم تستقيموا لأداوينكم بدوائكم ,فأنه عندي عتيد"(عطوان، د.ت: 47).**

فنرى كيف استعمل زياد بن أبيه اسلوب النداء في بداية الخطبة فقال (يا أهل الكوفة), فهو هنا استعمل أسلوب النداء ولكن خرج النداء هنا إلى غرض الوعيد والتهديد, وبعد ذلك استعمل أسلوب القسم, فقال: (والله), فهنا أراد أنْ يؤكّد بأنّه سوف ينزل العقاب بهم إنْ لم ينقادو لأوامره فهنا القسم جاء للترهيب والوعيد.

وضمّن الحجاج أسلوب القسم في خطبةٍ له في ترهيب أهل العراق قال فيها: "يا أهل العراق: إنّه والله ما بيني وبينكم من هواده ولابلهنيه ولا رفاهية ولادبغ على التحلئة[5], وما مثلي ومثلكم إلّا كمثل رجل كانت في بيته حية تخرج له كل يوم دينارا تضعه على باب جحرها"**(عطوان، د.ت: 73-74).**

استعمل الحجاج أسلوب القسم عندما قال: (إنّه والله ما بيني وبينكم من هواده ولابلهنيه), فهنا قسم برب العباد أنّه لا توجد هدنه بينه وبين أهل العراق, فنرى أنَّ الترهيب قد جاء في طيات خطبته, فهو هنا يرهبهم ويرعبهم ويبين لهم أنّه لا يوجد أمل بتحسين العلاقة بينهم, وأنّه سوف يعاملهم بأشدّ معاملة.

نلحظ ممّا تقدّم أنَّ أسلوب القسم جاء لإسناد فكرة الترهيب في الأعم الأغلب في خطب العصر الأمويّ, إمّا لتخويف الناس من العصيان لأوامر الله سبحانه وتعالى ونواهي, وإمّا لقمع المعارضين للحكم الأمويّ.

([3]) جم القوم : استراحوا وكثروا.

([4]) اشرتم : مرحتم وبطرتم

([5]) التحليء : قشر يبقى على الاهاب من اللحم فيمنع الدباغ ان ينال الاهاب حتى يقشر عنه.

المصادر والمراجع

- أساليب الإنشاء الطلبيّ, فاطمة كريم داود, جامعة واسط, كلية التربية.
- أساليب الحجاج في خطب معركة الطّف، الزّبيدي، جامعة الكوفة كلية التربية للبنات , 2019.
- أساليب الطلب عند النحاة والبلاغيين ، الأوسي، قيس، إسماعيل، بيت الحكمة، بغداد، 1988.
- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، قيس إسماعيل الأوسي.
- وأساليب بلاغية، الفصاحة البلاغة – المعاني.
- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، الخطيب، شرح وتعليق وتنقيح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1414،3هـ-1993م.
- البلاغة الواضحة (البيان، المعاني، البديع), علي أمين مصطفى الجارم، دار المعارف، مصر،(د-ط)،(د.ت).
- بنية الملفوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي, خديجة محفوظي, تحقيق صالح خديش, جامعة منتوري , الجزائر , 2007.
- التواصل اللساني والسيميائي والتربوي, جميل حمداوي, ط1, الألوكة.
- جمرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة،236/2.
- جمهرة الخطب الاموية ,1,88
- جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، ٢/٣٥٥.
- الخصائص، أبن جني، أبو الفتح عثمان ابن جني، ط4, الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الخطاب الحجاجي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة دراسة تداوليّة، رسالة دكتوراه، ابتسام بن خراف , جامعة الحاج لخضر باتنه، 2010م.
- رسائل الإمام عليّ في نهج البلاغة دراسة حجاجيّة، رائد مجيد جبار، مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدسة، العراق، (د-ط)، (د-ت).
- سنن الترمذي, للامام ابي عيسى محم بن عيسى بن الترمذي, تحقيق: مركز البحوث وتقنية المعلومات, ط1, 2014.
- علم المعاني البلاغة فنونها وأفنانها, فضل حسن عباس , دار الفرقان للنشر , ط,1992 .
- علوم البلاغة، البيان والمعاني والبديع، أحمد مصطفى المراغي , دار الكتب العلمية , بيروت
- في بلاغة الخطاب الإقناعي، محمد العمري، ط1, الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، المغرب، 2002م.

- كتاب الطراز المتضّمن الأسرار البلاغة وعلوم حقائق الأعجاز, مطبعة المقترف ,مصر 1914.
- المخصص، ابن سيده ، تحقيق محمد نبيل, ط1, دار الكتب العلمية , بيروت, 1971.
- معاني النحو، فاضل السامرائي, بيت الحكمة، الموصل، (د-ط)، 1989م.
- معترك الغفران في إعجاز القرآن، السيوطي، أبو الفضل جلال الدين، عبد الرحمن، تحقيق محمد علي البجاوي، القاهرة،1975م.
- مغني اللّبيب، ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبد الله جمال الدين، حققه وضبطه: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة ومطبعة محمد علي صبحي، القاهرة، (د-ت).
- مفتاح العلوم، السّكّاكيّ.
- مكارم الاخلاق، الشيخ رضي الدين الطبرسي, ط1, مطبعة العامرة المليجية , 1331ه.
- من بلاغة النظم العربي دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، عبد العزيز عبد المعطي عرفه.